

## حياة سعيد: مثال يحتذى

المغرب - عدد خاص بالذكرى الأولى للمرحوم سعيد محي  
السنة السادسة - العدد 1189 - الخميس 4 ربيع الأول عام 1362 الموافق 11 مارس سنة  
1943

ابو بكر القادري

إذا قدر لسعيد أن يكتب عنه أصدقاؤه وأخصاؤه، متحدثين عن المواهب التي منحها،  
والمميزات التي خصص بها، والمشروعات التي وضع تصميمها وكان في عزمه القيام بها، إذا  
قدر هذا فسيلاحظ الجميع في شخصية الفقيد رحمة الله عليه كثيرا من المزايا والفضائل  
قلما توجد في شاب غيره، وسيدرك إذ ذاك فداحة المصيبة في فقده.  
وإذا كان سعيد صار في عداد الأموات، ولم يبق خالدا منه إلا ذكره وأعماله، أفلا يحق لنا  
نحن أصدقاؤه وإخوانه أن نتذكره المرة تلو المرة، فنعدد مآثره، وتتخذ من حياته نبراسا  
يضيء لنا السبيل، ومن معانيه عبرا تقينا مراتع الزلل. أفلا يتعين علينا وقد وارىنا السعيد  
التراب أن نقوم بواجب الوفاء له، فنعترف له بما أسدى من خير، وندرس ما وهبه الله  
من خصائص ومميزات.  
إن لك في عنقنا دينا يا سعيد! وسنقوم بتأديته ما استطعنا إلى ذلك سبيلا؛ فقم قرير العين  
أيها الأخ الوفي؛ ولتطمئن على أمانيك؛ فإخوانك حريصون على تنفيذها، قابضون بكتلتنا  
يديهم عليها.

والآن وقد عزمنا على إصدار هذا العدد الخاص بمناسبة ذكراك، ما ذا عسى أن أكتب

عندك؟ إن حياتك كلها مليئة بالأعمال، مليئة بالنشاط، وهي في حاجة إلى دراسة مستفيضة لأنها بأجمعها ممتعة ومفيدة. حياتك المدرسية الأولى ينبغي أن تسجل وتشر لتتخذ منها الأجيال مثلاً في النشاط والثابرة والاعتماد على النفس والإرادة القوية وحسن الاستعداد للمستقبل؛ فهل سمع القراء بشاب كون نفسه بنفسه وكان وهو فتى لم يبلغ الخامسة عشرة من العمر يخطط الخطط للمستقبل، ويعد العدد للبناء ويمرن نفسه على القيام بمهمات الأعمال وعويصات القضايا؟ هل سمع القراء بفتى في هذه السن قسم أوقاته بنظام، فهذه حصة يثقف فيها نفسه، وهذه ساعة يكون فيها رجولته ويصحح أغلظه، وذلك وقت خصص لدراسة شؤون المجموع والبحث عن أدوائه وما تتطلبه من علاج، حتى ما إذا أتم استعداده وقام ليؤدي رسالته في الحياة وجد نفسه قد مهد الطريق، ووضع الخطط، وأحكم التجارب، فلم يخطئ الطريق، وكان النجاح حليفه في كل عمل قام به.

لقد كان سعيد عبقرياً حقاً، وكانت العبقرية تتجلى فيه وهو صغير؛ ولو مد الله في عمره لكان له شأن كبير، وعلمنا أنه من أولئك الأخصاء الذين يعرفون كيف يضطلعون بالأمر، ولاستفادات البلاد من أعماله المجيدة، وتفكيره الناضج، وذهنيته الخصب، ونشاطه الدائم، وإخلاصه المتناهي، ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن.

لقد نظر سعيد إلى بلاده نظرة الطيب النطاسي؛ فكان وهو صغير يبحث عن الأسباب التي جعلتها في المؤخرة، وكلما بدت له فكرة أو سمع ملاحظة إلا وسجلها في دفتره ليعطيها ما تستحق من العناية والدرس. وعندما استجمع عدة ملاحظات، وكون فكرة مصيبة عن الأدواء التي أصابتها وأحدقت بها، أخذ يفكر في علاج عن الأدواء، وكان في تفكيره بعيداً عن الخيال، عملياً إلى أقصى حد يتصور.

وكثيراً ما كنا نلاحظ عليه اهتمامه ببعض الجزئيات البسيطة، ونظره الذي كنا نتصوره قصيراً في بعض الأشياء، فكان يحدنا بابتسامة خفيفة، غير معير لملاحظاتنا أدنى اهتمام؛ وقدما سئل سعيد عن الضروريات التي تحتاج إليها بلادنا باستعجال، فأجابنا أن بلادنا

مفتقرة أولاً إلى مطبعة، وكم كان يبدو لنا هذا الجواب بسيطاً وغير مقنع، ولكن ما فتئنا وقد ولجنا ميدان العمل أن شعرنا بضرورة إيجاد المطبعة لنستطيع أن نؤدى بعض الأعمال التي تتطلبها منا البلاد، بل أدركنا أن كل عمل أو خدمة نود القيام بها لصالحنا تتوقف كلاً أو بعضاً على المطبعة، فعلمنا حينئذ لماذا فكر السعيد قبل كل شيء في إيجاد مطبعة، وزدنا تقديراً لبعد نظر هذا الراحل الكريم.

هذه ناحية واحدة من نواحي الفقيد، وليس المجال واسعاً لكي نتحدث عنها بإسهاب، وهناك نواحي أخرى لا تقل أهمية وخطورة كان الفقيد ممتازاً بها، ولم نلاحظ وجودها إلا في أفراد قلائل من إخواننا الأبرار.

وبعد فإن موت سعيد يعد بحق رزواً جسيماً وخسارة كبيرة لحقت بهذه البلاد؛ فسعيد لم تضع فيه عائلته ولم يضع فيه أصدقائه، وإنما هي آمال تحطمت بموته، ومواهب غصبت بفقده، وأعمال أقبرت بانتقاله، ومشاريع تهدمت بذهابه.

آمال أمة بأسرها، ومواهب يندر وجودها، وأعمال هو ابن بجدتها والحريص عليها، ومشاريع هو روحها وعمدتها.

فرحمك الله يا سعيد، وألهمنا الصبر على فراقك، ووقفنا لبناء ما كنت تتوق إليه.